

خال من توهج الشعر الفصيح وحساسيته وسمو أفكاره . أما كثرة الأوزان المجزوءة ونظم الخمسات والمسمطات وسواها ، فهي دليل الضيق بالفن الشعري ، وقصور المواهب والقدرات فالنقلة هنا ظلت شكلية كما نعلم ..

أما الاحتكام الى قصيدة مفردة مزج فيها ناظمها النثر بالشعر ، (قصيدة القاضي الفاضل ص ١٤٦) فهو تعسف آخر وتحميل للتجارب فوق ما تحتمل . اذ ليس لتلك القصيدة اهمية في ذاتها ولا في تجارب لاحقة ولذا (فأهميتها التاريخية الكبيرة) التي يقول بها ادونيس ، موضع شك وسؤال .

ما الذي جعل عصر الظلام ؛ عصر تأخر للشعر في الأغراض والأساليب ؟

يريد ادونيس ان يجد تعليلا نقديا فلا يقنعنا بذلك . انه يقول : (لكن الصنعة انحطت حين اصبحت مدرسة . حين اخذ الشعراء يتعلمونها كأمثولة مدرسية . انحطت لذلك اللغة الشعرية وأنحطت صورها . صارت التشايبه مصطنعة بلغة مصطنعة وتعابير مصطنعة) (٨٢) وهذا الانحطاط يعود - حسب ادونيس - الى التقليد والاتباع . رغم اعترافه بأنه انحطاط قياسا الى الماضي .

وحتى في هذا الضعف (ينتقي) ادونيس ما يعزز التجاوز والتخطي للذين شغل بهما ، وقيم الرفض والتمرد وشكوى الآخر .. ولو ان ادونيس معني بتلمس أثر البيئة والعوامل الخارجية في الشعر، لوجد أن شعر تلك الفترة (المظلمة) كان استجابة لما في الحياة ذاتها .. ففي مثل تلك الشروط التي احاطت الشعر والشاعر، لم يكن ليزدهر الا مثل تلك الاغراض والأساليب .

* * *

هل كان عمل ادونيس اذن في (ديوان الشعر العربي) ناقصاً لما شخصنا من خلل أم انه مكتمل ادونيسياً من حيث هو ناقص فنياً وتاريخياً ؟

الجواب على ذلك يعود بنا الى المقدمة ، وأتماط الاستجابة عند الاختيار .. لكن عمل ادونيس كمشروع كان عملاً كبيراً حقاً ، فضله انه يغربل وينقي ، فلا يعود التراث ركاما تصعب قراءته ويستحيل الاقتراب منه ..